وزارة التعليم العالـي والبحث العلمي
جامعة ديالـى
كلية التربـية للعلوم الإنسانية

التوسع في المعنى في التعبير القرآني عند القاضي البيضاوي (ت 685 هـ) في كتابه ﴿ أنوار التنزيل وأسرار التأويل ﴾

رسالة تقدَّم بها
منذر محمود جاسم خليل
إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة ديالى
وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير
في اللغة العربية وآدابها
بإشراف الأستاذ الدكتور
عبد الرسول سلمان الزيدي

ذو الحجة
تشرين الثاني
1432 هـ
2011م

الفصل الأول

التوسع في المستوى النحوي

سأتناولُ في هذا الفصل الكلام على التوسع في المعنى في التعبير القرآني ضمن المستوى النحوي ، وسأضعُ بين يدي البحث أربعة أمثلة لكل فقرة وأُشير في الهامش إلى الأمثلة الأخرى في مواطن ورودِهَا في (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، وعلى وفق المباحث الآتية :

المبحث الأول

الفعل والمصدر والتضمين

أولاً : الفعل :

قد يؤدي الفعل إلى التوسع في المعنى وذلك باحتمالِهِ أكثر من وجه ومن الأمثلة التي جاءتْ عند البيضاوي :

1- قال تعالى : **چ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ چ**البقرة : 20

قال البيضاوي تعليقاً على الآية الكريمة : " أضاء إما متعدٍ والمفعول محذوف بمعنى : كلما نوَّر لهم ممشىً أخذوه ، أو لازم بمعنى : كلما لَمَعَ لهم مشوا في مطرح نوره "(1) ، وذكر الفراء أنّ للفعل (أضاء) لغتين ؛ إذ قال : " فيه لغتان : يقال : أضاء القمرُ ، وضاء القمرُ ، فمن قال : ضاء القمرُ ، قال : يضوء ضُوءاً "(2) بضم الضاد وكسرها ، وقال الزمخشري : " وأضاء إمّا متعدٍ بمعنى : كلما نوّر لهم ممشىً ومسلكاً أخذوه والمفعول محذوف ، وإمّا غير متعدٍ بمعنى : كلما لَمَعَ

(1) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 38/1 .

(2) معاني القرآن : 18/1 .

لهم (مشوا) في مطرح نوره ومُلقى ضوئه ، ويعضدهُ قراءةُ ابن أبي عبلة[1] : كلما ضاء لهم "[2] .

ضاء السراجُ يضوءُ ، وأضاء يضيءُ ، وضاء الشيءُ يضوءُ ضَوءاً وضُوءاً ، ويقال : ضاءت وأضاءت كلاهما بمعنىً[3] ، فإن كان (أضاء) متعدياً فالتقدير : كلما أضاء لهم البرقُ الطريقَ ، وعلى هذا يحتمل عود الضمير في (فيه) على المفعول المحذوف وهو (الطريق) ، ويحتمل أن يعود الضمير على (البرق) ، أي : مَشَوا في مطرح نوره ولمعانهِ ، شرط أن يكون الفعل (أضاء) لازماً ، أي : كلما لَمَعَ البرقُ مَشَوا في نوره[4] .

وذكر الآلوسي أنّ في مصحف ابن مسعود (ت32هـ) بدلاً من (مشوا فيه) مَضَوا فيه ، وفيه إشارة إلى ضعف قواهم لمزيد خوفهم ودهشتهم فهو سبحانه لم يأتِ بما يدلّ على السرعة ، وفي حذف مفعول (أضاء) إشارةٌ إلى أنّهم لفرط الحَيْرة كانوا يخبطون خبطَ عشواء ويمشون كلّ ممشىً [5] .

وتوسُّعُ المعنى في الآية الكريمة مستبانٌ من جانبين :

الأول : حمل الفعل (أضاء) على التعدي واللزوم .

والآخر : جواز عود الضمير في قوله تعالى : (فيه) على البرق وعلى الطريق والله أعلم .

---

(1) ينظر : شواذ القراءات : 54 ، ومعجم القراءات : 58/1 .

(2) الكشاف : 82/1 ، وينظر : التفسير الكبير : 88/2 .

(3) ينظر : لسان العرب (ضوأ) .

(4) ينظر : البحر المحيط : 228/1 ، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون : 180/1 .

(5) ينظر : روح المعاني : 176/1 .

2- قال تعالى : چ ـد ـد ـد ئائا ئه ئه ئو ئو ئۇئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئېئې ئې ئى ئى ئد ىى ىي ي ي چ البقرة: 282.

ذكر البيضاوي أن الفعل (يُضارَّ) يحتمل البناء للفاعل والبناء للمفعول[1] . وأصل الكلمة (ولا يُضارِرْ كاتبٌ ولا شهيد) فأدغمت الراء في الراء وحرّكت إلى الفتح وموضعها جزمٌ ؛ لأنَّ الفتح أخفُّ الحركات ، وقيل : (ولا يُضارَّ) أي : ولا يُضارَرْ على وجه ما لم يُسمَّ فاعلُهُ ، أي : ولا يضارِرْهما مَنْ استكتب هذا أو استشهد هذا ، وهو أولى بالصواب ؛ لأنّ الخطاب من مبتدأ الآية إلى آخرها على وجه : افعلوا أو لا تفعلوا ، ولو كان الكاتبُ والشهيد هما المنهيينِ عن الضِّرارِ لقيل: وإن يفعلا فإنَّه فسوقٌ بهما ؛ لأنهما اثنان وتوجيه الكلام إلى ما كان نظيراً لما في سياق الآية ، أولى من توجيههِ إلى ما كان مُنعدلاً عنهُ[2] .

ويرى الزجاج أنَّ البناء للفاعل في (لا يُضارِرْ) أبين لقولهِ تعالى : (وإنْ تفعلوا فإنه فسوقٌ بكم) ؛ لأنّ الفاسق أشبه بغير العدل وبمن حرَّف الكتاب منه بالذي دعا شاهداً ليشهد ، ودعا كاتباً ليكتب وهو مشغول فليس بفاسق ، ولكن يسمى من كذب في الشهادة ومن حرَّف الكتاب فاسقاً[3] .

وذهب الراغب الأصفهاني إلى جواز أنْ يكونَ مسنداً إلى الفاعل ، أي : لا يُضارِرْ . وأن يكون مسنداً إلى المفعول ، أي : لا يُضارَرْ بأن يُشغلَ عن صنعتِهِ ومعاشِهِ باستدعاء شهادتِهِ[4] .

---

(1) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 150/1 .

(2) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : 113/5-118 .

(3) ينظر : معاني القرآن وإعرابه : 366/1 ، وإعراب القرآن للنحاس : 347/1 ، والزاهر في غريب ألفاظ الشافعي : 423 .

(4) ينظر : المفردات في غريب القرآن (ضرَّ) : 297 ، ومعالم التنزيل : 352/1 ، ولسان العرب (ضرر) .

أمَّا الآلوسي فقد أنكر أنْ تحمل الصيغة على البناء للفاعل والمفعول فبعد أنْ ذكرهما قال : "وحمل بعضُهُم الصيغة على المعنيين وليس بشيءٍ كما لا يخفى"[1] .

والذي يبدو أن هذه الصيغة "تحتمل أن يكون الكاتب والشهيد مصدراً للإضرار ، أو أن يكون المكتوب له والمشهود له مَصدراً للإضرار ؛ لأنّ يضارَّ يحتمل البناء للمعلوم وللمجهول ، ولعل اختيار هذه المادة هنا مقصود ، لاحتمالها حكمين ، ليكون الكلام موجهاً فيُحمل على كلا معنييهِ لعدم تنافيهما ، وهذا من وجه الإعجاز"[2] ، ولو أراد معنىً واحداً منهما لفكَّ الإدغام كقوله تعالى : ﭽ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ الأنفال : 13 ، إلا أنّهُ أدغم ليجمع المعنيين ، أمَّا القول بأنَّ بناء الفعل للفاعل أصوب فمردود ؛ لأنَّ القرآن الكريم لو أرادَ ذلك لفكَّ الإدغام وقال : ولا يضارِرْهما أحدٌ ، وليس هذا بعزيزٍ على التعبير بيْدَ أنّ الإيجاز في الصيغة وإرادة المعنيين هما المقصودان حقيقةً وهذا مظنة التوسع في المعنى إذ الأمران مرادان ههنا (اسم الفاعل واسم المفعول) والله اعلم .

3- قال تعالى : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ سبأ : 14

قال البيضاوي تعليقاً على قوله تعالى : (تبينت) : "علمت الجن بعد التباس الأمر عليهم (أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) أنهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موتَهُ حينما وقع فلم يلبثوا حولاً في تسخيره إلى أن خرَّ ، أو ظهرت الجن وأن بما في حيزِهِ بدلٌ منه ، أي : ظهر أن الجنّ لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب"[3] ذُكِر أنّ العصا لمّا أكلتها الدابة خرَّ سليمان

(1) روح المعاني : 61/3 .
(2) التحرير والتنوير : 117/3 ، وينظر : الجملة العربية والمعنى : 151 .
(3) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 847/2 .

(عليه السلام) وكان الناس يرون أنّ الشياطين تعلم السرَّ فلما خرَّ تبين أمرُ الجن للإنس أنهم لا يعلمون الغيب ولو علموهُ ما عَمِلوا بين يديه وهو ميّت[1] . فـ(تبينت) أي : ظهر أمرُها ، ويجوز أن يكون بمعنى : علمت وظهر لها العجز فكانت تسترق السمع وتلبس بذلك على الناس أنها تعلم الغيب فحينما خرَّ زال الشكُ في أمرها كأنها أقرتْ بالعجز[2] .

بانَ الشيءُ يبينُ ومبين : اتَّضح ، والبيانُ : الكشف عن الشيء ، وفلانٌ أبينُ من فلانٍ ، أي : أفصحُ وأوضح كلاماً[3] . و(أنْ) وما بعدها في محل رفع والمعنى: تبيَّن وانكشف وظهر أمرُهُم ، وقد تكون (أن) في موضع النصب ، والمعنى : علمت وأيقنتِ الجنُ أن لو كانوا يعلمون[4] . فإن كان (تبيّن) بمعنى (بانَ) فكأنّه قال : افتُضِحت الجنُّ ، أي : للإنس ، وإن كان بمعنى (عَلِمَ) فالمعنى : تحقق جمهورهم والفعلةُ منهم والخدمة[5] . و"تبيَّن يأتي لازماً ومتعدياً ، فإذا جعلتَهُ لازماً فالتقدير : فلما خرَّ ظهر جهلُ الجنّ أن لو كانوا يعلمون ، ومحل (أن لو) رفعٌ بدلٌ من (الفاء)... وإذا جعلتَهُ متعدياً فالمعنى : علمت الجن و(أن لو) في محل نصب"[6] وهذا "موجودٌ في كلام العرب قال الشاعر[7] :

تبيَّن لي أنَّ القماءةَ ذلَّةٌ وأن أعزاءَ الرجالِ طيالُها

---

(1) ينظر : معاني القرآن للفراء : 357/2 ، ومحاسن التأويل : 4944/14 .
(2) ينظر : غريب القرآن لابن قتيبة : 355 .
(3) ينظر : مجمل اللغة (بين) : 141/1 ، والأفعال لابن القطاع : 99/1 .
(4) ينظر : الكشف والبيان : 81/8 ، ومعالم التنزيل : 392/6 .
(5) ينظر : المحرر الوجيز : 412/4 .
(6) غرائب التفسير وعجائب التأويل : 930/2 .
(7) هو أنيف بن زبان النبهاني الطائي ، والبيت في الكامل في اللغة والأدب : 79/1 ، وينظر : أوضح المسالك : 386/4 . والقماءة : الذلة والصغر ، ينظر : تاج العروس (قمأ) ، وطيالها : جمع طويل وأصله (طِوَال) ، ينظر : المنجد في اللغة (طال) : 476 .

... أي فتبيني ذلك ، أي : اعلميهِ"[1] قال ابن هشام الأنصاري تعليقاً على هذه الآية الكريمة : "إنَّ فيه حذف مضافين ، والمعنى : عَلِمت ضعفاء الجن أن لو كان رؤساؤهم ، وهذا معنى حسن إلا أن فيه دعوى حذف مضافين لم يظهر الدليل عليهما والأولى أنَّ تبيَّن بمعنى وَضُحَ وأنْ وصلتها بدل اشتمال من الجنّ ، أي : وضح للناس أنّ الجنّ لو كانوا إلخ"[2] أما إن كان (تبين) بمعنى : عَلِمَ فالمراد بالجن ضعفاؤهم فهُم علموا أنّ رؤساءهم لو كانوا يعلمون الغيب كما توهموا وأوهموهم ذلك ما التبس عليهم الأمر ، أو المراد كبارهم وهم وإن كانوا عالمين قبل ذلك لكن أُريد التهكم بهم كقولك للمبطل إذا أدحضتَ حجتَهُ : هل تبينتَ أنك مبطلٌ ؟ وقد كان متبيناً[3] . "ولا حاجة على ما قُرر إلى اعتبار مضاف مقدر هو فاعل تبين في الحقيقة إلا أنه بعد حذفِهِ أقيم المضاف إليه مُقَامَهُ وأُسند إليه الفعل ، ثم جُعل (أن لو كانوا) إلخ بدلاً منهُ بدل كل من كل والأصل : تبين أمر الجن أن لو كانوا إلخ"[4] ووجه التوسع ظاهرٌ في الفعل (تبين) فهو بمعنى : عَلِمَ فيكون متعدياً ، وبمعنى : ظهر فيكون لازماً والله أعلم .

4- قال تعالى : ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﭼ الواقعة : 19 .

---

(1) البحر المحيط : 257/7 ، وينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : 167/9 ، وحاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : 606/3 .

(2) مغني اللبيب : 210/2 .

(3) ينظر : حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : 195/7 .

(4) روح المعاني : 122/22 .

ذكر البيضاوي للفعل (أنزفَ) في الآية الكريمة دلالتين : الأولى : لا تنزف عقولُهُم ، والأُخرى : لا ينفدُ شرابُهُم[1] . قال الفراء في تفسير قولِهِ تعالى : چ ئې ئى ئى ئد ى ى يچ الصافات : 47 : "وله – أي ينزفون – معنيان : يقال : قد أنزفَ الرجلُ : إذا فَنِيت خمرُهُ ، وأنزفَ : إذا ذهبَ عقلُهُ"[2] .

وقال الطبري (ت310هـ) في آية الصافات أيضاً : "العرب تقول : قد نُزِفَ الرجلُ فهو منزوفٌ : إذا ذهبَ عقلُهُ من السُّكر ، وأنزفَ فهو مُنْزِفٌ ، محكيةٌ عنهم اللغتان كلتاهما ، في ذهاب العقل من السكر ، وأمّا إذا فَنِيتْ خمرُ القوم فإني لم أسمع فيه إلا أنزف القومُ بالألف ومن الإنزاف بمعنى : ذهاب العقل من السكر قول الأُبَيْرد[3] .

لَعمري لئن أنزفتُمُ أو صحوتُمُ لبئسَ النَّدامى كنتُمُ آل أبجرا "[4]

وتأويل الآية "لا ينالهم عن شربها ما ينال أهل الدنيا من الصُّداع ، (ولا ينزفون) لا يسكرون ، والنزيف السكران ، وإنما قيل له نزيف ومنزوف ؛ لأنّه نُزِف عقلُهُ"[5] والأصل في (نزف) : نفاد الشيء وانقطاعُهُ ، ومنه قولهم : أنزفوا ، أي : نَزَفَ ماءُ بئرهم ، وأنزفتُ الشيء أبلغ من نَزَفْتُهُ[6] ، بمعنى : أنّ أفعلَ أبلغ من فَعَل في هذا السياق ، وليس معناهما متطابقاً ، وأما الجواليقي (ت540هـ) فهو يرى أنّ (أنزفَ ونزفَ) معناهما واحد[7] ، إلا أنّه أعطى الحكم العام في اللغة في كون (أفعل وفعل)

(1) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 1039/2 .
(2) معاني القرآن : 385/2 .
(3) البيت في الأغاني : 184/13 ، وينظر : لسان العرب (نزف) ، وتاج العروس (نزف) .
(4) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : 536/19–537 .
(5) معاني القرآن وإعرابه : 110/5 .
(6) ينظر : مقاييس اللغة (نزف) : 894 ، والمفردات في غريب القرآن : (نزف) : 490 .
(7) ينظر : ما جاء على فعلت وأفعلت بمعنى واحد : 71 .

بمعنى واحدٍ ولم يقصد هذا النص القرآني . ومع كثرة ودوام الشرب فهم لا يسكرون ، وعدم السكر بنفاد الشراب ليس بعجبٍ لكنَّ عدم سكرِهِم مع أنَّهم مستديمون للشراب عجيبٌ[1] . وفي قولهِ تعالى : (لا يصدعون عنها ولا يُنزِفون) نفى بالفعلين جميع عيوب الخمر ، وجمع بقولهِ : (ولا ينزفون) عدم العقل، وذهاب المال ، ونفاد الشراب[2] . "والنفاد في الآية إمّا للعقل أو للشراب فإن نفاد الشراب مخلٌ بنشاط أهل المجلس"[3] ولا يخفى ما في الفعل (يُنزِفون) من الدلالة على التوسع في المعنى الذي اقتضاهُ هذا الفعل من عدم السكر بذهاب عقول المُنعمين خلافاً لخمر الدنيا التي تذهب بعقول شاربيها فضلاً عن عدم نفاد شرابِهِم مما يدلُّ على كمال التنعيم من كلّ جانبٍ ، ولو أُبدل هذا الفعل بأيّ فعلٍ آخر لاختلَّ التركيب زيادةً على انتفاء معنى التوسع في هذا التعبير القرآني حينئذٍ[4] .

ثانياً : المصدر :

ومن أمثلة التوسع في المصادر :

1- قال تعالى : ﭽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﭼ النساء : 160 .

قال البيضاوي تعليقاً على قولهِ تعالى (كثيراً) : "ناساً كثيراً أو صدّاً كثيراً"[5]. فيحتمل أن يريد : صدَّهم في ذاتِهِم ، أي : لأنفسِهِم ، ويحتمل أن يريد : صدَّهم

(1) ينظر : التفسير الكبير : 153/29 .
(2) ينظر : البرهان في علوم القرآن : 766 ، والإتقان في علوم القرآن : 140/3 .
(3) حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : 343/4 .
(4) للمزيد : ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 161/1 ، 928/2 .
(5) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 251/1 .

لِغَيْرِهِم[1] ، ويحتمل وجهاً ثالثاً لم يُشر إليه البيضاوي وهو صدُّهُم : زماناً كثيراً[2] . ورجح السمين الحلبي أن يكون (كثيراً) مفعولاً به من بين هذه الأوجه ، قال : "أظهرنا : أنّه مفعولٌ بهِ ، أي : بصدِّهم ناساً أو فريقاً أو جمعاً كثيراً ، وقيل : نصبُهُ على المصدرية أي : صدَّاً كثيراً ، وقيل : على ظرفية الزمان ، أي : زماناً كثيراً ، والأول أوْلى ؛ لأنّ المصادر بعدها ناصبة لمفاعيلها ، فيجري البابُ على سننٍ واحدٍ"[3] "و(صدَّ) يجوز أن يكون قاصراً فيكون (كثيراً) صفة مصدر محذوف ، وأن يكون متعدياً فيكون مفعولاً به ، أي : وصدّهم كثيراً من الناس بالإضلال عن الطريق، فمُنِعوا مستلذات تلك المآكل بما منعوا أنفسَهم وغيرَهم من لذاذة الإيمان"[4] "يقال : صددتُ فلاناً عن أمرِهِ أصدُّهُ صدّاً . فصدَّ يصُدُّ ، يستوي فيه لفظ الواقع واللازم"[5] والأظهر أنّ أنّ هذهِ الأوجه مرادة جميعاً ، والتعبير القرآني استعمل المصدر (وبصدِّهم) من دون أن يحددَ فعلَهُ وذلك لإرادة التوسع في المعنى ، فإن كان الفعل لازماً كان (كثيراً) صفة لمصدر محذوف يحتمل أن يكون : صدّاً كثيراً أو زمناً كثيراً ، خلافاً لترجيح أن يكون (كثيراً) مفعولاً بهِ ، ويحتمل أن يكون الفعل متعدياً ، فيكون (كثيراً) حينئذٍ مفعولاً بهِ لـ(صدَّ) المتعدي ، أي : ناساً كثيراً ، ولا توجد قرينة داعية إلى تحديد وجه دون آخر ، والسياق القرآني مُحتملٌ هذه المعاني كلّها ، وعدم ذكر وجه من هذهِ الأوجه أثرى المعنى القرآني وأطلقهُ والله أعلم .

---

(1) ينظر : المحرر الوجيز : 135/2 ، وحاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : 200/3 .

(2) ينظر : التبيان في إعراب القرآن : 308/1 ، والبحر المحيط : 411/3 0

(3) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : 151/4 ، وينظر : اللباب في علوم الكتاب : 121/7 .

(4) نظم الدرر : 366/2 ، وينظر : فتح القدير : 845/1 .

(5) تاج العروس (صدد) .

2- قال تعالى : ﭽ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﭼ المائدة : 12

قال البيضاوي بشأن قوله تعالى (قرضاً) في الآية الكريمة : "قرضاً : يحتمل المصدر والمفعول"[1] "وذلك قولك : اجتوَرُوا تجاوُراً ، وتجاورُوا اجْتواراً ؛ لأنَّ معنى : اجتَوروا وتجاوروا واحد ، ومثل ذلك : انكسَرَ كَسْراً ، وكُسِر انكساراً ؛ لأنّ معنى كُسِر وانكسر واحد ، وقال الله تبارك وتعالى : ﭽ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ نوح : 17 ؛ لأنه إذا قال : أنبتَهُ فكأنّه قال : قد نَبَتَ ، وقال عزَّ وجلّ : ﭽ ﭣ ﭤ ﭥ ﭼ المزمل : 8 ؛ لأنه إذا قال : تَبتَّلْ فكأنّهُ قال : بَتِّلْ"[2] . فلو قيل: كيف يقال : (وأقرضتم اللهَ قرضاً حسناً) ولم يقل : إقراضاً حسناً ، مع أنّ مصدر (أقرض) الإقراض ؟ قيل : لو قال ذلك كان صواباً ، ولكنّ قولَه : (قرضاً حسناً) أخرج مصدراً من معناهُ لا مِنْ لفظه ففي قولهِ : أقرض معنى (قرض) فكان معنى الكلام : وقرضتُم اللهَ قرضاً حسناً[3] .

"قال الفراء : ولو قال : وأقرضتم اللهَ إقراضاً حسناً لكان صواباً أيضاً إلاّ أنهُ قد يقام الاسم مقام المصدر ، ومثله قولُهُ : ﭽ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﭼ آل عمران : 37 ، ولم يقل : بتقبلٍ ، وقولُهُ : ﭽ ﯪ ﯫ ﯬ ﭼ آل عمران: 37، ولم يقل : إنباتاً"[4] .

و"(قرضاً) يجوز أنْ يكونَ مصدراً محذوف الزوائد ، والعامل فيه أقرضتُم أي : إقراضاً ، ويجوز أن يكونَ القَرضُ بمعنى المُقْرض ، فيكون مفعولاً به"[5] . إذن

---

(1) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 261/1 .

(2) الكتاب : 81/4 ، وينظر : الأصول في النحو : 134/3 ، وشرح كتاب سيبويه للسيرافي: 456/4-457 .

(3) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : 245/8 .

(4) التفسير الكبير : 190/11 . ولم أعثر على كلام الفراء في كتابه (معاني القرآن) .

(5) التبيان في إعراب القرآن : 320/1 .

(قرضاً) يحتمل أن يكون اسم مصدر على غرار (نباتاً) و(قبولٍ) ، ويحتمل المفعولية للفعل (قرضَ) وهو واضح ومستبانٌ بشكل جليّ .

واسم المصدر (قرضاً) منصوب بفعل مضمر يدلُّ عليه الفعل الظاهر كقوله تعالى: (والله أنبتكم من الأرض نباتاً) ، أي : ونبتُّم ، وساغ إضمارُهُ ؛ لأنهم إذا أُنبتوا فقد نبتوا ، ولا يجوز أن ينصب بالظاهر وهو (أقرض) إذا أُريد به المصدرية؛ لأنّ الغرض من المصدر تأكيد الفعل الذي نصبه أو تبيين معناهُ ، وإذا كان المصدر مغايراً لمعنى الفعل الظاهر لم يحصل بذلك الغرض المقصود ؛ لأنّ (النبات) ليس بمعنى (الإنبات) وإذا لم يكن بمعناهُ فكيف يؤكدُهُ أو يبينُهُ ؟[1] .

"فإنّه جاء بالفعل ولم يأتِ بمصدرِهِ وهو الإقراض بل جاء بمصدر الفعل الثلاثي وهو القرض ، والقرض يحتمل معنيين : معنى الإقراض فيكون مفعولاً مطلقاً ويحتمل ما يقرض من المال فيكون مفعولاً به ، والمعنيان مرادان وهما الإقراض الحسن والمال الحسن"[2] . وهنا مكمن التوسع في التعبير القرآني في سياق هذه الآية الكريمة .

3- قال تعالى : چ ئې ئې ئى ئى ئد ى ى ي ي □چ الكهف : 53

قال البيضاوي تعليقاً على لفظة (مصرفاً)في الآية الكريمة : "انصرافاً ، أو مكاناً ينصرفون إليه"[3] بمعنى : أنّ (مصرفاً) محتملٌ لأمرين : أحدهما : المصدرية (انصرافاً) ، والآخر : الظرفية المكانية (مُنْصَرَفاً) . ذكر سيبويهِ أنَّ : ما كانَ من فَعَل يَفْعِلُ ، فإنّ موضع الفعل (مَفْعِلٌ) نحو : هذا مَجْلِسُنا ، كأنّهم بنوهُ على يَفْعِلُ بكسر العين كما كسرت في يَفْعِل ، وبناء المصدر منه على مَفْعَلٍ نحو : إن في ألف درهمٍ لمَضْرباً ، وقد يجيء المَفْعِلُ يراد به الحينُ ، فإذا كان من فَعَل يَفْعِلُ بُني على مَفْعِلٍ فيُجعل الحينُ كالمكان نحو : أتت الناقةُ على مَنْتِجِها ، أي الحين الذي فيه النِّتاج ، وربما بنوا المصدر على المَفْعِل كما بَنَوا المكان عليه إلا أنّ تفسير الباب وجملته على

(1) ينظر : البرهان في علوم القرآن : 555 .

(2) الجملة العربية والمعنى : 152 .

(3) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 609/2 .

القياس ، كالمرجِع في قوله تعالى: چ ﭑ ﭒ ﭓچ الأنعام : 164، أي : رجوعُكُم[1] . قال العكبري في قولِهِ تعالى : (مصرفاً) : "أي : انصرافاً ، ويجوز أن يكونَ مكاناً ، أي : لم يجدوا مكاناً ينصرفُ إليه عنها"[2] . وقد ردَّ السمين الحلبي على العكبري قائلاً : "وهذا سهوٌ فإنّه جعل المَفْعِل بكسر العين مصدراً لما مضارعُهُ يَفعِل بالكسر من الصحيح وقد نصّوا على أن اسم مصدر هذا النوع مفتوح العين ، واسم زمانِه ومكانِه مكسوراها نحو : المَضْرَب والمَضْرِب ، وقرأ زيدُ بن علي[3] ﴿ﭑ﴾ (مَصْرَفاً) بفتح الراء جعله مصدراً ؛ لأنّه مكسور العين في المضارع فهو كالمَضْرَب ، بمعنى : الضرب ، وليت أبا البقاء ذكر هذه القراءة ووجهها بما ذكرَهُ قبلُ"[4] ويحتمل أن يكون (مصرفاً) اسم زمان[5]، وهذا الوجه أغفلهُ البيضاوي ولم يُشر إليه .

أما ذهاب العكبري ومن بعدِهِ البيضاوي إلى تأويل (مصرَفاً) بالمصدر ، فإنه وإن كان غيرَ مقيسٍ عند سيبويهِ ، إذ قياس ذلك عنده (المفعِل) بكسر العين كما المكان عنده كذلك نحو : المَجْلِس ، إلا أن بناء (المَفْعَل) بفتح العين واردٌ عن العرب مصدراً كما أنّ هذا البناء واردٌ عنهم مكاناً أيضاً ، أي : أنّ بناء (المَفْعِل) بكسر العين يعتقبان عليه (المصدر) و(المكان) وسبق أن أوردتُ كلامَهُ آنفاً في هذا الشأن وهو : ربما بنوا المصدر على المفعِل كما بنوا اسم المكان عليه ، وفي ضوء هذا الاستدلال فإنّ الباحث يوافق على هذا الكلام ويلتزمُهُ لأمرين :

---

(1) ينظر : الكتاب : 4/87-88 ، والأفعال لابن القطاع : 1/15 .

(2) التبيان في إعراب القرآن : 2/152 .

(3) ينظر : شواذ القراءات : 290 ، وأجازها أبو معاذ ، ينظر : البحر المحيط : 6/131 .

(4) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : 7/510-511 ، وينظر : روح المعاني : 15/299 .

(5) ينظر : اللباب في علوم الكتاب : 12/513 .

أولهما : ورود هذا البناء (المفعَل) بفتح العين عن العرب ولا يضير أن يكون الأصل والقياس هو الكسر، والآخر : أنّه معضدٌ باستعمال القرآن الكريم إياهُ المتمثل بقراءة جمهور السبعة ما عدا عاصماً (ت127هـ) لقولهِ تعالى : چ ئى ئى ئد ى ى ي يچ المجادلة : 11 ، إذ قرؤوها : (في المَجْلِسِ) بغير ألف[1] فقوله : (مَصْرِفاً) يحتمل معنى المصدرية وهو حدث الانصراف ، والمكان الذي يُنصرفُ إليه ، وزمان الانصراف أيضاً ، فجاءَ التعبير بـ(مَصْرِفاً) لتوسيع دائرة المعنى القرآني وإرادة هذه الصيغ الصرفية والمعاني المترتبة عليها جميعها وهذا قائمٌ على مستندٍ لغوي يسوّغ الأوجه المذكورة كلَّها .

4- قال تعالى : چ ئې ئى ئى ئد ى ى ي يچ

چلقمان : 18

قال البيضاوي : "أي : فَرَحاً مصدر وقع موقع الحال ، أي : تمرح مرحاً ، أو لأجل المرح وهو البَطَر"[2] .

ذكر الأخفش الأوسط (ت 215هـ) في قولهِ تعالى : چ چ الإسراء : 37 ، أن القراءة[3] بكسر الراء أحسن ، فـ(تمشي مَرِحاً) أحسن من (تمشي مَرَحاً) عنده[4] . والمصدر إذا وقع موقع الحال ينوب عن اسم الفاعل كقولهم : قتلتُهُ صبراً ، أي : صابراً ، وجئتُهُ مشياً ، أي : ماشياً ، فالتقدير : أمشي مشياً ؛ لأنّ

(1) ينظر : السبعة في القراءات : 628 – 629 .

(2) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 819/2 .

(3) وهي قراءة يحيى بن يعمر ويعقوب . ينظر : مختصر في شواذ القراءات : 80 ، وشواذ القراءات : 281 .

(4) ينظر : معاني القرآن : 424/2 .

المجيء على حالات ، والمصدر دلَّ على فعلهِ من تلك الحال[1] . فـ(مَرَحاً ، ومَرِحاً) في الجودة سواء إلا أن المصدر (مَرَحاً) أوكد في الاستعمال ، تقول : جاء زيدٌ رِكْضاً أوكد مِنْ : جاء زيدٌ راكضاً ؛ لأنَّ ركضاً يدلُّ على توكيد الفعل[2] . ويحتمل أن يكون (مَرَحاً) مفعولاً له[3] . "أو على حذف مضاف ، أي : ذا مرحٍ"[4] . "ومجيء المصدر حالاً كمجيئِهِ صفة يراد منه المبالغة في الاتصاف ، وتأويله باسم الفاعل ، أي : لا تمشِ مارحاً ، أي : مشية المارح ، وهي المشية الدالة على كبرياء الماشي بتمايل وتبختر ، ويجوز أن يكون (مرحاً) مفعولاً مطلقاً مبيناً للفعل (تمشِ) ؛ لأنَّ للمشي أنواعاً ، منها : ما يدل على أنَّ صاحبَهُ ذو مرحٍ ، فإسناد المرح إلى المشي مجاز عقلي[5] ، والمشي مرحاً أن يكون في المشي شدة وَطْءٍ على الأرض وتطاول في بدن الماشي"[6][7] .

فالتعبير بـ(مَرَحاً) أظهر المعاني الآتية :

أولاً : إن القراءة بكسر الراء من (مَرِحاً) بمعنى اسم الفاعل ، أي : لا تمشِ في الأرضِ مارحاً .

ثانياً : (مَرَحاً) أبلغ في التوكيد من (مارحٍ ، ومَرِحٍ) ؛ لأنه من قبيل الوصف بالمصدر .

---

(1) ينظر : المقتضب : 234/3 ، ومعاني النحو : 248/2 .

(2) ينظر : معاني القرآن وإعرابُهُ : 240/3 .

(3) ينظر : التبيان في إعراب القرآن : 128/2 .

(4) البحر المحيط : 34/6 ، وينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : 354/7 .

(5) ينظر : الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز : 40/1 .

(6) التحرير والتنوير : 103/15 .

(7) أغلب أهل التفاسير ورد تفسيرهم لـ(مرحاً) في آية سورة الإسراء .

ثالثاً : يحتمل أن يكون (مَرَحاً) مفعولاً له ، أي : لا تمشِ في الأرض لأجل المرح والبَطَر .

رابعاً : يجوز أنْ يكون (مرحاً) مفعولاً مطلقاً مبيناً للفعل (تمشِ) .

خامساً : محتمل أن يكون على حذف مضاف ، أي : ذا مرحٍ .

سادساً : المجيء بالمصدر حالاً يرادُ منه المبالغة في الوصف ، كأنَّ الذات هو عين الفعل ، أي : تحوَّل الماشي إلى المرح نفسه ، ولم يبقَ فيه شيءٌ من عنصر الذات .

وكل هذه المعاني مرادة ويحتملها السياق فهو من قبيل إيجاز اللفظ وتكثيف المعنى وهو توسعٌ ظاهر بما لا يخفى[1] .

ثالثاً : التضمين :

التضمين لغةً : هو كلُّ شيءٍ أُحْرِزَ أو جُعِل في وعاء شيءٍ آخر فقد ضُمِّنَهُ[2].

واصطلاحاً قال عنه ابن جني : "اعلم أنَّ الفعلَ إذا كان بمعنى فعل آخر ، وكان أحدهما يتعدى بحرف ، والآخر بآخر فإنَّ العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذاناً بأنّ هذا الفعل في معنى ذلك الآخر ؛ فلذلك جيءَ معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه ، وذلك كقول الله – عزَّ اسمُهُ – : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ البقرة : 187 ، وأنت لا تقول : (رفثتُ إلى المرأة) وإنما تقول : (رفثتُ بها) ، أو

(1) للمزيد : ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 216/1 ، 446/1 ، 612/2 ، 847/2 .

(2) ينظر : العين (ضمن) : 26/3 ، ومجمل اللغة (ضمن) : 566/2 .

(معها) ؛ لكنه لمَّا كان الرفثُ هنا في معنى الإفضاء ، وكنت تعدي (أفضيتُ) بـ(إلى) كقولك : (أفضيتُ إلى المرأة) جئتَ بـ(إلى) مع الرفث ، إيذاناً وإشعاراً أنّهُ بمعناهُ"[1] .

ومنه قولُهُ تعالى : ﭽ ﭞ ﭟ ﭠﭼ الكهف : 28 ، يقال : عداهُ إذا جاوزهُ ، وعُدّي الفعل (عدا) بـ(عن) لتضمينِهِ معنى : نَبَا وعلا ، نحو : نَبَتْ عنه عينُهُ وعلتْ : إذا اقتحمتْهُ ولم تَعْلَقْ بهِ ، والغرض منه : إعطاء مجموع معنيين ، وذلك أقوى من إعطاء معنى واحدٍ ، فمعنى الآية : ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين إلى غيرهم[2] .

"والتضمين : إشراب اللفظ معنى لفظ آخر ، وإعطاؤهُ حكمهُ لتصير الكلمة تؤدي مؤدى كلمتين نحو : ﭽ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐﭼ النور : 63 ، أي : يخرجون"[3] فيُكْسَبُ بالتضمين معنيان : معنى الفعل الأول ، ومعنى الفعل الثاني[4]. ويعدُّ التضمينُ صورةً من صور الاتساع في المعنى ومن أمثلتِهِ عند البيضاوي :

1- قال تعالى : ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛﭼ التوبة : 104

قال البيضاوي : "إذا صحت – أي التوبة – وتعديتُهُ بـ(عن) لتضمنهِ معنى التجاوز"[5] . قال ابن عطية الأندلسي (ت546هـ) : "(عن عباده) هي بمعنى (مِنْ)، وكثيراً ما يتوصل في موضع واحد بهذه وهذه ، تقول : لا صدقةَ إلا عن غنىً ومن غنىً ، وفَعَلَ فلانٌ ذلك من أشرِهِ وبطرِهِ وعن أشرِهِ وبطرِهِ"[6] ، بَيْدَ أنَّ (عن) تفيد البعد نحو : جَلَس فلان عن يمين الأمير ، أي : في ذلك الجانب مع البعد ، فالتائب صار

---

(1) الخصائص : 295/2 ، وينظر : معاني النحو : 11/3 .

(2) ينظر : الكشاف : 62/3-63 ، والجملة العربية والمعنى : 160-161 .

(3) حاشية الصبان : 145/2 .

(4) ينظر : معاني النحو : 12/3 .

(5) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 421/1 .

(6) المحرر الوجيز : 79/3 ، وينظر : حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : 361/4 .

مُبعداً عن قبول التوبة بسبب ذلك الذنب فيحصل انكسار العبد الذي طردَه مولاهُ . فـ(عن) تنبه على أنه لا بُدَّ من حصول هذا المعنى للتائب[1] .

"والذي يظهر من موضوعِ عَنْ أَنها للمجاوزة ، فإن قلت : أخذتُ العلم عن زيدٍ ، فمعناهُ : أنه جاوز إليك ، وإذا قلت : من زيدٍ دلَّ على ابتداء الغاية ، وأنّه ابتداء أخذك إياهُ من زيد ، وعن أبلغ لظهور الانتقال معه ، ولا يظهر مع مِنْ ، وكأنّهم لما جاوزت توبتُهُم عنهم إلى الله اتصف هو تعالى بالتوبة عليهم"[2] .

ويبدو أنّ (مِنْ ، وعَنْ) ليستا متقاربتين ، فـ(مِنْ) للابتداء عموماً سواءٌ امتدّ الحدثُ أم لا ، وليس لابتداء الغاية ؛ لأنّ الغاية بمعنى النهاية والمدى ، نحو : اشتريتُ الكتاب من خالدٍ ، فـ(خالد) مبتدأ الشراء ، وهو ليس حدثاً ممتداً[3] . و(عن) للمجاوزة والبعد واستعمالُهُ مع الفعل (يقبل) وسَّعَ المعنى القرآني ؛ لأنّ (يقبل) يستعمل معه (مِنْ) ولكنّه عَدَلَ إلى (عن) للتضمين الذي أفضى إلى جمع معنيي القبول والمُجاوزة بأوجزِ عبارةٍ ، وكلاهما معنيان مرادان . والله أعلم .

2- قال تعالى : ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﭼالنور : 63

قال البيضاوي : "يخالفون أمرَهُ بترك مقتضاهُ ، ويذهبون سمتاً – نهجاً – خلاف سمتِهِ ، وعن لتضمنِهِ معنى الإعراض ، أو يصدون عن أمرِهِ دون المؤمنين، مِنْ (خالفَهُ عن الأمر) : إذا صدَّ عنه دونَهُ"[4] .

---

(1) ينظر : التفسير الكبير : 190/16 .
(2) البحر المحيط : 100/5 ، وينظر : اللباب في علوم الكتاب : 197/10 .
(3) ينظر : شرح الرضي على الكافية : 263/4 ، ومعاني النحو : 65/3 .
(4) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 133/2 .

وفي العربية أفعالٌ توصل بحروف الجر نحو : اخترتُ فلاناً من الرجال ، واستغفرُ اللهَ من ذلك ، وقد يحذف الحرف ويعمل الفعل كقول المتلمس[1] :

آليتَ حَبَّ العراقِ الدهرَ أطعمُهُ والحَبُّ يأكلُهُ في القريةِ السُّوسُ

يريد : على حبِّ العراق ، ونحو : نُبِّئتُ زيداً يقولُ ذاك ، أي : عن زيدٍ ، وليست (عن ، وعلى) هنا بمنزلة الباء في قولهِ تعالى : چ □ □ □چالنساء:79 ، أي : ليستا بزائدتين ؛ لأنَّ (عن ، وعلى) لا يفعل بهما ذلك[2] .

إلاَّ أنَّ أبا عبيدة يرى أنّ (عن) في هذه الآية زائدة[3] ، وتابعهُ الأخفش الأوسط في زيادتها ، أي : فليحذر الذين يخالفونَ أمرَهُ[4] . "وعن في موضعها غير زائدة"[5] ، "والزيادة خلاف الأصل"[6] . فَعُدِّيَ (يخالفون) بـ(عن) لما في المخالفة من معنى التباعد ، وهو أبلغ من أنْ يتعدى بنفسِهِ نحو : خالف زيداً عن الأمر ، أي: صدَّهُ عنه ، والمفعول هنا محذوف ، أي : يخالفون المؤمنين ، ويصدونهم عن أمرِهِ، والمراد من حذف المفعول تقبيح حال المخالِف ، وتعظيم أمر المخالَف عنه فذَكَر الأهم ، وترك ما لا اهتمامَ بهِ[7] . وبهذا اتسع معنى التعبير بكسبِ الفعلين (خالف ، وصدَّ) فهو خالف الأمرَ بنفسِهِ ، وصدَّ عنهُ غيرَهُ فأوجز في العبارة وتوسَّع في المعنى .

---

(1) البيت في الأغاني : 233/24 ، وينظر : الجمل في النحو : 96 ، والمخصص : 244/4 ، السوسُ : الدود ، ينظر : لسان العرب (سوس) .

(2) ينظر : الكتاب : 38/1 ، ومعاني القرآن للنحاس : 820/2 .

(3) ينظر : مجاز القرآن : 69/2 .

(4) ينظر : النكت والعيون : 129/4 ، ولم أقف على ما عُزي ههنا إلى الأخفش في كتابه (معاني القرآن) .

(5) معاني القرآن للنحاس : 820/2 .

(6) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : 450/8 .

(7) ينظر : روح المعاني : 226/18 .

3- قال تعالى : چ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ چالصافات : 8

قال البيضاوي عن علة تعدية (سَمِعَ) بـ(إلى) : "وتعدية السماع بإلى لتضمنِهِ معنى الإصغاء مبالغةً لنفيهِ وتهويلاً لما يمنعهم عنه"[1] . وقرئ[2] : (يَسْمعون) بتخفيف السين ، والأصل في (يسَّمَّعون) يتسمعون ، بمعنى : لا يتسمعون ، فأدغمت التاء في السين[3] . والتسمع طلب السماع ، والمتعدي بنفسهِ يفيد الإدراك والمتعدي بـ(إلى) يفيد الإصغاء مع الإدراك[4] . وضُمّن (سَمِعَ) معنى انتهى ، أو أصغى ، ومعنى الكلام : لا ينتهي سمعُهُم أو تسمُّعُهم أو إصغاؤهم إلى الملأ[5] .

والقراءة بالتشديد أبلغ في نفي الاستماع ؛ لأنّه إذا نفى عنهم التسمع بعدما حفظ منهم السماع نفى عنهم السماع بأولوية ، والتسمّع طلب السماع ، يقال : تسَّمَّع فسَمِعَ أو فلم يسمع ، وتسمَّع لا يتعدى إلا بـ (إلى) ، ويقال : سمعتُ فلاناً يُحدّثُ وسمعتُ حديثَهُ والمخفف يتعدى بـ(إلى) ، فإن قلت : ما الفرق بين : سمعتُ فلاناً يتحدّثُ ، وسمعتُ إليه يتحدّث ، وسَمِعتُ حديثَهُ وإلى حديثِهِ ؟ والجواب : إنّ المعدّى بنفسِهِ يفيد الإدراك ، والمعدّى بـ(إلى) يفيد الإصغاء مع الإدراك فالآية سواء قرئت بالتشديد أو التخفيف أبلغ في نفي السماع من قوله تعالى : چ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ چ الشعراء : 212 ؛ لأنها على التقديرين تدلُّ على كونهم ممنوعين عن الإصغاء وهو طلب السماع فكونهم ممنوعين عن السمع أولى ، وفيها تهويل عظيم لما يمنعهم عنهُ[6] . "وحاصلُهُ : أنّه

(1) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 878/2 .
(2) حمزة والكسائي وعاصم بالتشديد ، والباقون بالتخفيف ، ينظر : الحجة للقراء السبعة : 52/6 ، وحجة القراءات : 605 .
(3) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : 498/19-499 .
(4) ينظر : الكشاف : 670/3-671 ، والبحر المحيط : 338/7 ، ومُغني اللبيب : 341/2 .
(5) ينظر : نظم الدرر : 196/16 .
(6) ينظر : حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : 50/4 ، وروح المعاني : 69/23-70.

ليس المنفي هنا السماع المطلق حتى يلزم ما ظنّوهُ ؛ لأنَّه لما تعدى بإلى وتضمّن معنى الإصغاء صار المعنى : حفظناها من شياطين لا تنصت لما فيها إنصاتاً تاماً تضبط به ما تقولُهُ الملائكة ، ومآلهُ : حفظناها من شياطينَ مسترقةٍ للسمع"[1] والتضمين يشير إلى : "معنى ينتهون فيسمعون ، أي : لا يتركهم الرمي بالشهب منتهين إلى الملأ الأعلى انتهاء الطالب المكان المطلوب ... وذلك أبعد لهم من أن يسمعوا ؛ لأنهم لا ينتهون فلا يسمعون"[2].

ولا يخفى ما في التضمين من الجمع بين هذه المعاني القرآنية ، فالفعل (سَمِعَ) يتعدى بنفسِهِ ، إلا أنّه عُدِّي بـ(إلى) لإرادة معنى الإصغاء والانتهاء إلى جانب معنى المبالغة في التسمع وهذا من بديع الإيجاز ، وكل هذه المعاني مرادة مقصودة في سياقها والتوسع واضحةٌ ملامحُهُ في هذا التعبير البليغ والله أعلم .

4- قال تعالى : چۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋچالمطففين : 2

قال البيضاوي : "أي : إذا اكتالوا من الناس حقوقَهم يأخذونها وافيةً ، وإنما أبدل (على) بـ (منْ) للدلالة على أنّ اكتيالهم لِمَا لهم على الناس ، أو اكتيال يتحامل فيه عليهم"[3] .

قال الفراء في المعاقبة بين (على ومِنْ) : "يريد : اكتالوا من الناس ، وهما تعتقبان : على ومِنْ في هذا الموضع ؛ لأنّه حقٌّ عليه ، فإذا قال : اكتلتُ عليك ، فكأنّه قال : أخذتُ ما عليك ، وإذا قال : اكتلتُ منك ، فهو كقولك : استوفيتُ منك"[4]

(1) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : 261/7 .
(2) التحرير والتنوير : 92/23 .
(3) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 1139/2 .

منك"[1] إلا أنّ الحرف (على) قد يستعمل في الأفعال الشاقّة المستثقلة نحو : قد سِرنا عشراً وبَقِيت علينا ليلتان ، وقد حفظتُ القرآنَ وبقيتْ عليَّ منه سورتان ، وقد صُمنا عشرين من الشهر وبقي علينا عشر[2] . وأحسبُ أنّ عبارة البيضاوي (وإنّما أبدل على بمِنْ) غير صحيحة ، والصحيح أن يقال : أُبدل مِنْ بـ(على) ؛ لأنّ ما بعد (أبدل) هو المتروك[3] . وقال المرادي (ت749هـ) في مجيء (على) بمعنى (مِنْ) في هذه الآية : "قالَهُ بعض النحويين ، والبصريون يذهبون في هذا إلى التضمين ، أي : إذا حكموا على الناس في الكيل"[4] و(بعض النحويين) يريد بهم : الكوفيين . و"الاكتيال أخذ الحقّ من الغير بالكيل كما أن الاتّزان أخذه منه بالوزن فهما أخذ الحقّ لنفسِهِ ، والكيل والوزن إعطاؤه لغيره بالمكيال والميزان فحقُّ الاكتيال أن يتعدى بكلمة مِنْ حيث يقال : كِلتُ من فلان ، ولا يقال : كِلتُ على فلان إلا أنّ كلمة (على) أُقيمت في الآية مقامَ (مِنْ) لوجهين : الأول : الدلالة على أنّ المأخوذ الحق الثابت له على الناس فإنه إذا قيل : اكتلتُ منه لا يفهم منه إلا أنه أخذ منه بالكيل مع قطع النظر عن كون المأخوذ هل هو حق له عليه أو لا ؟ والثاني : الدلالة على أن اكتيالهم اكتيال فيه إضرار لهم وتحامل عليهم فإن كلمة (على) تدل على الإضرار والظلم يقال : تحامل عليه ، أي :

(1) معاني القرآن : 246/3 ، وينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : 186/24 ، وحروف المعاني للزجاجي : 23 .

(2) ينظر : الخصائص : 263/2 .

(3) ينظر : لسان العرب (بدل) .

(4) الجنى الداني في حروف المعاني : 478 .

ظلمه ، فقولهم : اكتال عليه يفهم منه أنه أَخَذَ منه أخذاً متضمناً للتحامل عليه والوجه الأول أظهر"[1] .

أما المعاقبة بين (على ، ومن) فغير مرادة ؛ لأن (اكتال) عدّي بـ(على) لتضمينِهِ معنى التحامل ، أي : إلقاء المشقة على الغير وظلمِهِ . وشأن التاجر طلبهُ توفير الربح وأنه مظّنة السَّعة ووجود المال بيدِهِ[2] . فيكون الاكتيال مُتحاملاً فيه على الناس مما يؤدي إلى المشقة والاستثقال عليهم في المكيل ، وهو ما يدلُّ عليه الحرف (على) الدال على فعل المشقة والثقل كقولهِ تعالى : ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭽ المزمل : 5 ، وكل هذا لا يُلحظ في السياق إذا ما استُعمل الحرف (مِنْ) مع الفعل (اكتال) ، فالتضمين أكسب الآية معنيين : معنى اكتال منه ، ومعنى تحامل عليه وهما معنيان مرادان مقصودان ههنا ، وهما مناط التوسع في المعنى والله أعلم[3] .

(1) حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : 537/4 ، وينظر : حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : 335/8 .

(2) ينظر : التحرير والتنوير : 190/30 .

(3) للمزيد : ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 115/1 ، 352/1 ، 1086/2 ، 1099/2 .

Abstract

This is study in the expansion in the meaning of the holy Quran expression in the Al – Baidhawi explanation which is called (Anwar Al – tanzeel wa Asrar Al – tawee) . It is the most important phenomenon which deserves care with it and after the material of research has finished from collecting its nature required to be divided in to three chapters beginning with introduction , interface and ended with the research results then the references list which I benefited from it in my study comes after it .

They were many and various of explanation books , the holy Quran sciences and its definition , grammar books , conjugation , language and others .

About my study in interface I had divided it into two parts : the first : about Al – Baidhawi and his scientific biography . it is obvious for students what Al – Baidhawi has of agood status between the explainers , the second : was in definition of expansion in meaning about being one pronunciation or term perhaps has more one meaning in the context that it was and the elements of expansion have to be available in context of the holy Quran expression .

The title of first chapter was (the expansion on the grammar level) it includes many aspects such as : the omission , exception and multiplicity aspects of definition .

Abstract

And the title of the second chapter was (the expansion on the conjugation level) it includes the expansion in holy Quran readings , multiplicity the conjugation forms and derivation .

The title of the third chapter was (the expansion on the language level) it includes the pronunciation sharing , opposite and Arab languages difference .